وثائق التاريخ المصرى فى العصر الإسلامى[1]

(عرض عام للجهود التى بذلت فى هذا الميدان)

بقلم هانز روبرت رويمر

نقله عن الألمانية

المغفى عبد الوهاب بحي

منذ وقت غير طويل أبدى عالم قدير ملاحظة صائبة مؤداها أن الكثرة الكثيرة ممن يكتبون عن تاريخ العرب من الأوربيين اما مؤرخون ليست لديهم دراية بالعربية ، أو متخصصون فى اللغة العربية ولكن يعوزهم

---

(1) ظهر هذا المقال فى مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية (Z)eitschrift der (D)eutschen (M)orgenlandischen (G)esellschaft [Band 107 - Heft 3, Neue Folge Band 32) فى ديسمبر ١٩٥٧ . وفى المقال دراسة جدية عميقة للجهود التى بذلت فى سبيل جمع الوثائق المتصلة بتاريخ مصر فى العصر الإسلامى وتنظيمها وتبويبها وتقديمها بالصورة التى تيسر الانتفاع بها فى تأليف هذه الحقبة ؛ والمكاتب أستاذ بجامعة ماينتس Mainz ووكيل معهد الآثار الألمانية بالقاهرة . وهو معنى برصد الجهود التى تبذل فى ميدان الوثائق الإسلامية المكتوبة باللغات الثلاثة : العربية والتركية والفارسية . والمقال فى الواقع صورة منقحة مزودة بالحواشى للمحاضرة التى ألقيت أمام المؤتمر الدولى للمستشرقين أثناء دورته الرابعة والعشرين التى عقدت بمدينة مونشن (ميونيخ) . وقد كانت المحاضرة تضم إلى جانب الكلام عن الوثائق المصرية كلما ذكرنا عرض فيه الكاتب للجهود التى بذلت فى الفترة الواقعة بين ١٩٥٤ و١٩٥٧ فى ميدان الوثائق الفارسية ، وقد استبعدت القسم الفارسى من الترجمة لأنه لا يعالج كل الوثائق الفارسية فى العصر الاسلامى ، وإنما هو فى الحقيقة تذييل لبحث فى هذا الموضوع قدمه الكاتب فى المؤتمر الثالث والعشرين للمستشرقين الذى عقد فى كمبردج Cambridge فى أغسطس ١٩٥٤ . وقد ظهرت ترجمة فرنسية للجزء الخاص بمصر من هذا المقال تحت عنوان *Documents et Archives de l'Egypte Islamique* فى (Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales) MIDEO المجلد الخامس ١٩٥٨ وقد أضاف الكاتب فى هذه الترجمة معلومات جديدة الى بعض الحواشى الموجودة فى الاصل الالمانى الى جانب زيادة بعض الحواشى الجديدة ، وقد أدرجت هذه الاضافات والزيادات فى الترجمة الحالية ووضعت كلا منها بين حاصرتين . (المترجم) .

الاعداد أو التكوين التاريخى (١) و ما يقال عن تاريخ العرب يكاد يصدق تماما على حالة الشعوب الاسلامية الأخرى إذا تركنا جانبا بعض الاستثناءات المعروفة . وهذا الوضع هو الذى يفسر لنا أمرا على جانب كبير من الوضوح وهو أن الوثائق (ونحن نستعمل الكلمة هنا بمعنى السجلات والأوراق الديوانية) ظلت فى أغلب الأحيان دون دراسة أو بحث حتى فى الأحوال التى كانت فيها على جانب من الوفرة — ونحن نجدها بالفعل فى أعداد وفيرة فى بعض الأوقات ، وإن كانت هذه الأعداد تتضاءل بل وتنعدم فى كثير من الأحيان . والسبب فى ذلك واضح ، فالمؤرخ إن كان يدرك بحكم دراسته . قيمة الوثائق ، إلا أنه لايستطيع استيعاب ما تتضمنه إذا كانت غير مترجمة أو كانت تفتقر إلى الإيضاح والتفسير ، كما أن المستشرق من الجانب الآخر قد يكون فى وضع يمكنه من قراءة هذه الوثائق فى سهولة ويسر ، ولكنه كثيرا ما تعوزه الثقافة التاريخية السياسية والنظرة التى يكتسبها المؤرخ بالمران والتى تجعله ينظر إلى التفتيش عن الوثائق على أنه الخطوة الأولى فى أية دراسة تاريخية يقوم بها . وهكذا انقضت مدة طويلة قبل أن يوجه هؤلاء إلى موضوع الوثائق الاهتمام اللائق به ، وإن كنا لانستطيع أن نتجاهل التحسن الذى ظهر فى هذا المجال فى السنوات العشر الأخيرة .

والموضوع الأساسى الذى يقع فى نطاقة بحثنا الحالى ، والذى يدور حول الوثائق المتصلة بتاريخ الشعوب الإسلامية ، يضم قدرا من المسائل لايقل فى تشعبه وتعدد مسالكه عن أحوال العالم الإسلامى نفسه . وسبب ذلك أن الظروف تختلف فى العالم الإسلامى من بلد إلى بلد فيما يتعلق بنوع الوثائق التى وصلت إلينا ، وعددها ، وطريقة حفظها ، ومدى سهولة الحصول عليها ، ومقدار ماهى عليه من ترتيب علمى ؛ كما تختلف فيما بينها فيما يخص مشتملاتها واللغات وخصائص الخطوط التى كتبت بها .

(١) *Orientalism and History*, edited ف Bernard Lewis : *Islam* ص ١٦ by Denis Sinor, Cambridge : Heffer 1954.

وفى هذا المجال قد يقال إنه من المستحسن ، بل من المفيد ، أن ندرس هذا الموضوع كوحدة شاملة متكاملة ، إذ نستطيع فى هذه الحال أن نتغلب على ماقد يصادفنا فى دراسة إحدى الوثائق مثلا ، بإلقاء نظرة مقارنة على الوثائق او السجلات الموجودة فى المناطق الأخرى ، أو على الطرق المتبعة فى القيام عليها ؛ ومثل هذه النظرة لازمة فى الواقع لدراسة الوثائق المتعلقة بالشعوب الإسلامية ، ولكن رغم حرصنا الشديد على تحقيق ذلك فإن الوقت لم يأن بعد لذلك ؛ وعلى أية حال فليس فى نيتنا اليوم أن نعالج الموضوع من هذه الزاوية .

لقد قمنا بمحاولة فى تحقيق هذا الغرض فى مناسبة سابقة ، هى المؤتمر الثالث والعشرين الذى عقد فى كيمبردج ، وكانت فارس هى المثال الذى اتخذناه محورا للدراسة ، وهو مثال كانت تعوزه إلى حد كبير المعلومات الراسخة والنتائج المحققه الثابتة [1] . وقد كان للملاحظات التى أبديناها فى تلك المناسبة صدى فاق ماكنا نجرؤ على توقعة أو انتظاره ، وقد شجعنا هذا على أن نعاود معالجة الموضوع مرة أخرى ، وهكذا ننتقل اليوم بدراستنا إلى بلد آخر هو مصر ، وفى ختام الكلام عنها سنلقى نظرة سريعة على الأبحاث التى ظهرت منذ إلقاء محاضرتنا الماضية ، أى منذ ثلاث سنوات ، حول الوثائق الخاصة بفارس [2] .

١

ووثائق مصر الإسلامية تمتاز عن غيرها من وثائق البلاد الأخرى فى أكثر من جانب ، ولا يقتصر هذا التميز على عددها الكبير ، إذ هذه صفة

---

(١) *Proposals for the collection of Persian documents of the Islamic period*, قدمنا *Proceedings of the Twenty-Third International Congress of Orientalists, Cambridge 21st — 28th August, 1954*, edited by Denis Sinor (The Royal Asiatic Society, London) صفحات ٣٧٧ وما بعدها ، وقد ظهرت الطبعة الألمانية المستكملة تحت عنوان *Vorschlage für die Sammlung von Urkunden zur Islamischen Geschichte Persiens* فى ZDMG عدد ١٠٤ (١٩٥٤) صفحات ٣٦٢ - ٣٧٠ . كما ظهرت ترجمة فارسية عنى بها الدكتور هيربرت هورست Dr. Heribert Horst تحت " جيرداورى ـ فى مكاتبات تاريخى ـ فى ايران " فى المجلة الدورية الايرانية "فارهنجى ايران زامين" عدد ٤ (١٣٣٥) صفحات ١٤٥ — ١٩٥٨ .

(المترجم) بخصوص هذا القسم انظر نهاية حاشية ١.

تشاركها فيها مناطق أخرى كتركيه مثلا ، وإنما يمتاز الكثير من بين هذه الوثائق بأنه بالغ فى القدم [1] . بل إن مصر هى المكان الذى وجدت فيه أقدم سجلات العالم الإسلامى على الإطلاق . هذا إلى أن التنقيب عن هذه الوثائق بشكل علمى منظم قد وصل فيها إلى مستوى على جانب كبير من التقدم ، يدل على ذلك عدد كبير من المطبوعات الممتازة التى بدأت تظهر فى هذا المجال فى العقدين اللذين سبقا مستهل هذا القرن حين بدأت البرديات العربية والدراسات القيمة المتصلة بها تظهر فى أعداد تتزايد يوما بعد يوم [2] .

وأسباب هذا الوضع الممتاز الذى اختصت به الظروف مصر بسيطة وواضحة ، وأول هذه الأسباب هو خصائص التربة المصرية التى تساعد على حفظ ما بها من مخلفات ، وإلى هذه التربة يرجع الفضل الأول فى الإبقاء على عدد كبير من هذه البرديات دون أن يتسرب إليها التحلل ، وخاصة تلك التى ترجع إلى فترات ضاربة فى القدم . أما عن سهولة التوصل إليها ووضعها موضع البحث والدراسة فيرجع الفضل فى ذلك إلى الاهتمام الذى أولاه الأثريون دراسة مصر ومخلفاتها ، وهكذا لم يكن من النادر أن تجد البرديات العربية طريقها — شأنها فى ذلك شأن البرديات الديموطيقية أو اليونانية أو القبطية — إلى المتاحف والمكتبات التى كان لدى القائمين عليها من الطموح العلمى مادفعهم إلى وضعها فى قوائم خاصة بها ، وترتيبها ومعالجتها ونشرها ، تماما كما فعلوا فى حالة البرديات الأخرى ؛ كذلك لم يفتقر هذا الفرع من الدراسة إلى عدد من المهتمين بالدراسات العربية الذين أبدوا من الاستعداد للعمل الدائب الناضج ماجعلهم لايقلون عن مستوى زملائهم من المهتمين بالدراسات الكلاسيكية ؛ ففى ١٩٠٥ قام برنهارت

---

(١) يرى أدولف جرومان Adolf Grohmann أن عدد البرديات التى ترجع الى الفترة الواقعة بين ٢٢ و٧٨٠ م (٦٤٣ و١٢٧٨) يصل الى نحو ٥٠ ألف بردية .

(٢) نستطيع فى الواقع أن نتخذ من عام ١٨٢٥ نقطة ابتداء ، اذ فى هذه السنة نشر سلفستر دوساسى Sylvestre de Sacy أول دراسة عن علم البردى العربى تحت عنوان : *Mémoire sur quelques papyrus écrits en Arabe et recemment découverts en Egypte* فى مجلة Journal des Savants ١٨٢٥ صفحات ٤٦٢ – ٤٧٣ (عن جرومان) .

موريتس Bernhard Moritz بنشر مجموعة من هذه البرديات نستطيع أن نتخذها نموذجا، وقدمها كدراسة فى الخط العربى القديم [1]. ولم يكن الذين قاموا بأبحاث فى هذا الموضوع بعد ذلك بأقل شأنا ، وفى هذا المقام سأجتزىء من بين هؤلاء بذكر أدولف جرومان Adolf Grohmann الذى كرس حياته العلمية لدراسة البرديات العربية بدأب منقطع النظير [2] . ومن الآثار المشكورة لهذا العالم الجزء الأول من كتاب «مقدمة لعلم البرديات العربية ومنتخبات منها» [3] الذى وصل فيه المؤلف إلى عدد من الآراء والاستنتاجات البارزة حول الموضوع تجعل من نافلة القول إبداء أية ملاحظات أخرى عنه فى هذا المكان [4].

والبرديات الموجودة تغطى الفترة الواقعة بين ٦٤٣ و ١٣٧٨ ميلادية [5]. وهى تتناول جوانب الحياة اليومية على مابينها من تباين واختلاف ، ولكن لاينبغى لنا مع ذلك أن نخلط بينها وبين محتويات دور المحفوظات . حقيقة

---

(1) *Arabic Palaeography, a collection of Arabic texts from the first century of the Hidjra till the year 1000* (Publications of the Khedivial Library. No 16) القاهرة (١٩٠٥) Cairo .

[(2) انظر مراجعه فى العدد ٣٢ (١٩٥٧ – ١٩٥٨) من مجلة "Der Islam" (صفحات ٢ – ٤) ، وقد أهدى هذا العدد اليه بمناسبة بلوغه سن الثمانين – الترجمة الفرنسية ص ٢٣٩ حاشية ٣]

(3) *Einführung und Chrestomathie zur Arabischen Papyruskunde.* I. Band : Einführung.Mit 32 Abbildungen. 2 Übersichtsplänen und 3 Karten. (Československý Ústav Orientální v Praze, Monographie Archivu Orientálního) Studies, Texts and Translations published by the Czechoslovak Oriental Institute. Edited by J. Rypka. Vol. XIII), Praha : Státní Pedagogické Nakladatelství 1945
هكذا على صفحة العنوان وان كان تاريخ النشر الموجود على الغلاف هو ١٩٥٥) .

(4) نجتزىء هنا بالاشارة الى هراستين هامتين لآلبرت ديتريش Albert Dietrich وقد ظهرت فى نفس الوقت مع الكتاب المذكور أخيراً أو بعد ذلك ، ولهذا السبب لم يشر اليهما فيه والهراستان هما : *Arabische Briefe aus der Papyrussammlung der Hamburger Staats-und Universitäts-Bibliothek*, Hamburg : Augustin 1955 (=Veröffentlichungen aus der Hamburger Staats-und Universitäts-Bibliothek, Bd. 5); (2) *Zum Drogenhandel im Islamischen Ägypten*, Heidelberg : Winter 1954 (= Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrussammlung, Neue Folge Nr. 1).

(5) انظر حاشية ٤ عالية .

إن من بينها برديات قد تكون أتت أصلا من دور المحفوظات ، ولكن مثل هذه البرديات التي تتضمن سجلات رسمية وشهادات وقرارات لا تظهر بينها إلا بصفة استثنائية ، إذ أن الوثائق المتصلة بأعمال الحكام وكتاب الدواوين لا تظهر في العصر الإسلامي المبكر – حتى في مصر – إلا بشكل متقطع ، على الأقل فيما يتعلق بالوثائق الأصلية نفسها .

والوضع الراهن فيما يخص هذه المسألة يوضحه مقال عن الوثائق الفاطمية التي عني بها منذ بعض الوقت المؤرخ جمال الدين الشيال الأستاذ بجامعة الاسكندرية ، فقد أخذ على عاتقه أن يجمع كل الوثائق الرسمية لذلك العصر (١) ، ولما كانت الوثائق الأصلية التي ترجع إلى تلك الفترة قليلة على نحو ما ذكرنا ، فقد كان عليه في المقام الأول أن يراجع كل الكتب والرسائل المطبوعة والمخطوطة التي تحوي دراسات تاريخية أو أدبية ، في سبيل البحث عن صور من هذه الوثائق ، وكانت حصيلته من هذا المجهود ١١٠ وثيقة ، ويضاف إلى هذا بعض الوثائق الأخرى التي لم يدرجها ضمن هذه المجموعة ، لأنها كانت قد نشرت في مكان آخر منذ فترة قصيرة (٢) . ولكي يجعل الشيال دراسة هذه الوثائق أمرا ميسورا قام بتقسيمها الى ثلاث عشرة مجموعة حسب ترتيب المواضيع ، وإن كانت كذلك مرتبة ترتيبا زمنيا في بعض الأحوال ، وستكون

(١) التفاصيل التي نشير إليها مأخوذة من : *The Fatimid documents as a source for the history of the Fatimids and their institutions* by Gamal el-Din el-Shayyal, Reprint from the Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, Vol. VIII, Arabic and Islamic — Dec. 1954 — وهو نص محاضرة ألقيت في المؤتمر العربي والإسلامي Conference الذي عقد بجامعة پشاور في أبريل ١٩٥٤

(٢) الشيال ، نفس المرجع ، حاشية ٨ : بعض الرسائل التي أرسلها المؤيد في الدين داعي الدعاة إلى عدد من رجال الدولة وردت في الدراسة التي قام بها محمد كامل حسين : سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، القاهرة ١٩٤٩ – عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ، القاهرة ١٩٥٤ ، أنظر الى جانب هذا : Husain Hamdani *The Letters of al-Mostansir*, BSOS VII (4933) في ص ٩٣٥ – أحمد حميد الدين الكرماني : الرسالة الواعظة في فضل دعوة ألوهية الحاكم بأمر الله ، نشرها محمد كامل حسين في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مجلد ١٤ الجزء الأول : مايو ١٩٥٢ صفحات ١ – ٢٩ – أربع رسائل اسماعيلية ، نشرها محمد تامر ، صلاحية (سورية) ١٩٥٢ .

طريقته هى أن يبحث بشكل وافٍ كلَّ وثيقة على حدة ، وكلَّ مجموعة من هذه المجموعات ليعقب ذلك تقديم الحقائق التاريخية الناتجة عن البحث وعرضها بشكل ظاهر ، وقد تمَّ إعداد المجموعتين الأوليين اللتين تتعلقان بالخلافة وولاية العهد والوزارة . وهما الآن فى طريقهما الى النشر (١) . ونحن نرجو أن تظهرا قريبا لنعرف كيف ينوى الناشر القيام بالمهمة التى اضطلع بها .

وطبيعى أننا لن نستطيع أن نستخلص من نسخ الوثائق شيئا على الإطلاق من ناحية الخطوط التى كتبت بها ، كما أن مانستخلصه منها من معلومات تتعلّق بعلم الوثائق لا يمكن الاعتماد عليه إلا فى حدود ضيقة ، ولكنها مع ذلك ستشير إلى الشكل العام الذى كانت عليه السجلات الفاطمية . وقد وصلت إلينا فى الواقع إلى جانب المرديات ، وثائق أصلية من هذا العصر وإن كانت فى عدد قليل ؛ وفى هذا المقام توجد سبعة مراسيم أصلية أصدرها الخلفاء الفاطميون ، وجميعها بطبيعة الحال ترجع إلى السنوات الأخيرة من حكم الدولة الفاطمية ، وعلى وجه التحديد بين السنوات ١١٠٩ و١١٥٨ ، وهى محفوظة فى دير سانت كاترين على جبل سيناء . وتمثل جزءا من مجموعة ممتازة لم نعرف عن وثائقها الإسلامية شيئا إلا منذ فترة قصيرة جدا (٢) .

---

(١) جاء فى خطاب خاص بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٥٧ أن الوثائق الفاطمية لن تنشر كلها فى مجلد واحد ، وانما على أقسام يعالج القسم الأول منها وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة (وقد ظهر بالفعل هذا الجزء الأول من " مجموعة الوثائق الفاطمية " فى السنة التالية لظهور هذا المقال ، وهو من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . — المترجم) .

المجموعة الأولى تتعرف على محتويات المخطوطات والوثائق الموجودة بدير سانت كاترين عن طريق التصوير الشمسى قامت بها بعثة كانت قد أرسلتها فى سنة ١٩١٤ الأكاديمية البروسية للعلوم die Preussische Akademie der Wissenshaft وكانت نتيجة الحملة ٨٥٠٠ صورة شمسية على يد ناجها كارل شميت Karl Schmidt وبرنهارت موريتس Bernhard Moritz ، من بينها ٤٠٠ صورة تخص الوثائق . ولكن هذه الصور اندثرت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . لمعرفة التفاصيل أنظر *Bericht des Wissenschaftlichen Beamten = Prof. Karl Schmidt über eine Forschungsreise nach dem Katherinenkloster*

والأمر يتكرر فى العصر التالى ، وهو عصر الأيوبيين ، إذ لا تمثله فى نفس المجموعة إلا وثائق متناثرة ، أما المادة الغزيرة فى هذا المجال فلا نحصل عليها فى الواقع إلا ابتداء من العصر المملوكى ، وهذه تضم على وجه التحديد ٨٦ مرسوما سلطانيا وخمس معاهدات ، و١١٤ وثيقة أخرى (١) .

= كذلك Carl Schmidt und Bernhard Moritz : *Die Sinai Expedition im Frühjahr 1914. auf dem Sinai* فى Sb. Pr. Ak. W ١٩١٥ صفحات ١٢٢ - ١٢٥ ، نفس المجلة عدد ١٩٢٩ ، VII صفحات ٢٦ - ٣٤ - وفى يناير ١٩٥٠ وصلت بعثة أمريكية The American Foundation Mount Sinai Expedition إلى الدير وألحق أعضاؤها صورا ضوئية لعدد من المخطوطات التى وقع عليها اختيارهم إلى جانب عدد كبير من الوثائق العربية والتركية التى وجدوها ، وهى تضم ١٠٧٢ وثيقة عربية و٦٧٠ وثيقة تركية . وقد قام مراد كامل بعمل قائمة لهذه الوثائق مرتبة حسب أوصافها : فهرس مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء ، الجزء الأول . المطبعة الأميرية والقاهرة ١٩٥١ . وزارة المعارف العمومية . ادارة إحياء التراث العربى صفحات ١٢٩ - ٢٢٣ . وقد أعطيت كل وثيقة ورقما مستقلا وقد أدرجت تحته فى المكتبة وبيانا بشكلها الخارجى وطبيعة المادة التى تحتوى عليها . وتوجد للوثائق العربية قائمة تزيد على هذا أنها تذكر فى بعض الأحيان تاريخ إصدار الوثيقة كلما كان ذلك فى حدود الإمكان . وقد على هذه القائمة جزء صوريان عطية فى *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai, a hand-list of the Arabic manuscripts at the library of the Monastery of St. Catherine, Mount Sinai*, Baltimore : The John Hopkins Press (١٩٥٥) صفحات ٢٦ - ٨٠ وعلى صفحات IX إلى XIII يعطى وندل فيليبس Wendell Phillips تفاصيل عن البعثة ، كما أن صفحات XXI و XXVIII - XXXII تحتوى على معلومات أكثر تفصيلا عن الوثائق هذا ولم يذكر بوضوح أين توجد الأفلام ، ويستطيع مع ذلك أن نفترض أنها توجد فى مكتبة الكونجرس Library of Congress فى واشنطن "Never before in history has an institution, in this instance represented by the Library of the congress, received such an extensive body of ancient manuscripts to make available to the world of scholarship" وقد حصلت جامعة الاسكندرية فى ١٩٥٣ على مجموعة من الأفلام المصغرة .

(١) على وجه التحديد عن طريق المراسيم من رقم ١١ (بتاريخ ١١٩٥) إلى رقم ١٥ (بتاريخ ١٢١٠ - ١٢١١) وربما كذلك المرسوم رقم ١٦ وهو غير مؤرخ ؛ كذلك المعاهدة رقم ١٨٥ (بتاريخ ١١٩٧) والوثائق الشخصية رقم ٢٣٨ (بتاريخ ١١٩٧) و٢٣٩ (بتاريخ ١١٢٥) و١٠٦٣ (وهى جزء غير كامل وترجع إلى ١٢٣٩) .

وهذه هى المراسيم من رقم ١٧ (بتاريخ ١٢٥٩) إلى ١٠١ (بتاريخ ١٥١٦) و ٩٦٩ بتاريخ ١٤٥٧) ومن ١٢٠ (بتاريخ ١٤٥٤-١٤٥٥) إلى ١٢٣ (بتاريخ ١٥١٢) =

وإذا كانت وثائق دير سانت كاترين تشمل فى مجموعها وثائق تتعلق محتوياتها بالدير نفسه ، فإن هذا لايقلل من أهميتها للباحث فى التاريخ المصرى ، إذ أنها تضم رغم ذلك ، فيما يخص عصر الفاطميين والأيوبيين ، المكاتبات الوحيدة الصادرة عن دواوين الحكومة التى وصلت إلينا فى صورتها الأصلية ؛ وهذه إلى جانب مغزاها التاريخى الحضارى ، تمثل فيما يتعلق بدراسة علم الخطوط والسجلات همزة الوصل بين البرديات من جانب وبين الوثائق المملوكية الكثيرة من الجانب الآخر . والقليل الذى عرفناه عن هذه السجلات حتى الآن أثار قدرا كبيرا من الاهتمام ، فعزيز سوريال عطية ، الذى يرجع إليه الفضل فى إخراج قائمة بسجلات سانت كاترين [1] قد أرفق مع هذه السجلات صورا طبق الأصل لإمضاءات ست من سلاطين المماليك ، بينما قدّم لنا أحمد محمد عيسى عددا آخر منها فى بحث نشر منذ وقت قريب ؛ [2] أما المجموعة

= والمعاضدات من رقم ١٨٦ (بتاريخ ١٤٠٩) إلى ١٩٠ (بتاريخ ١٤٩٥) والوثائق الشخصية من رقم ٢٤٠ (بتاريخ ١٢٥٢) إلى ٣٤١ (بتاريخ ١٥١٦) و ١٠٠٠ (بتاريخ ١٤٩٥) ومن ١٠٦٤ (بتاريخ ١٤٦٣) إلى ١٠٦٩ (بتاريخ ١٤٨٤ وهى أجزاء غير كاملة) والمحضر رقم ٨٢٥ (بتاريخ ١٢٦٩) والمكتوب رقم ٨٩٢ (بتاريخ ١٤٨٥) والإعلان رقم ٩٣٣ و ٩٣٤ (وكلاهما بتاريخ ١٣٠١) وكذلك الإعلان رقم ٩٣٥ (بتاريخ ١٥١٣) وقائمة الحسابات رقم ٩٤٢ (بتاريخ ١٤٧٨) .

[1] وهو الكتاب المذكور أعلاه فى حاشية ١٣ ، والفهرس يقتصر بطبيعة الحال على الوثائق التى صورت فعلا . ولا نستطيع أن نستخلص بشكل قاطع من كلام عزيز سوريال عطية ما إذا كانت جميع الوثائق الموجودة بالدير قد صورت أم لا . ومما يثير الشك حول هذه المسألة أنه (ص ١٩) لا يذكر على عهد السلطان قايتباى إلا ١٧ مرسوما (من رقم ٥٧ إلى ٧٣) بينما يقدرها شبيت وموريتس Sinai Expedition ص ٣١ بما يزيد عن عشرين .

[2] «مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين» فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد الخامس (١٩٥٩) صفحات ١٠٥ - ١٢٤ ، والكاتب يشكو فى هذا المقام من أن الأفلام المصغرة الموجودة بالاسكندرية لوثائق دير سانت كاترين لا يمكن الحصول عليها بسهولة فى القاهرة . وفى الحقيقة إنه من المرغوب فيه أنه توجد نسخة من هذه الأفلام بالعاصمة المصرية ، حيث أن مكتبة جامعة الاسكندرية التى تحفظ هذه الأفلام لا تعيرها إلا فى داخل المكتبة لغرض المطالعة دون أن تسمح للمطلع بفحصها .

التي سنتكلم عنها مرة أخرى ، فستنشر في أقرب وقت ممكن [1] ، وستطلعنا هذه على معلومات هامة ، على الأقل فيما يخص دراسة السجلات العربية [2] ، بل وربما امتدت هذه المعلومات إلى ميادين أخرى .

على أن السجلات المملوكية لايقتصر وجودها على دير سانت كاترين ، ففي هذا المجال نجد عبد اللطيف إبراهيم علي – وهو مؤرخ مصري شاب تخصص في الفن الإسلامي – بسبيل وضع مؤلف عن الوثائق العربية الهامة اعتمد فيه على ثلاث مجموعات هي : محفوظات وزارة الأوقاف المصرية ، ومحفوظات المحكمة الشرعية ، ودار الكتب المصرية ، وهو يقدر أن هذه الأماكن الثلاث تضم نحو ألفي سجل من تلك التي نحن بصدد الكلام عنها تغطي الفترة الممتدة حتى نهاية القرن السادس عشر ، وترجع في غالبيتها إلى العصر المملوكي ، [3] وليس لدينا أية فهرسة أو دراسة لهذه الوثائق حتى الآن ، أو على الأقل لم يطبع من ذلك شيء حتى الآن ، وكل ما نستطيع أن نعرفه عن وجودها هو من قبيل الملاحظات التي تأتي بين الحين والحين في الكتابات الأدبية ، على أن هذه الجهات الثلاثة من الأماكن المعروفة التي يفترض فيها أكثر من غيرها وجود وثائق

(1) يبدو أن عددا كبيرا من هذه الوثائق لم ينشر حتى الآن . ومن أمثلة الوثائق التي نشرت ، خطاب الأمان الذي أصدره الغوري ، في دير سانت كاترين ، ومرسومان من مراسيم السلطان قايتباي . وقد نشر هذه الوثائق برتارت مورينس تحت عنوان *Beiträge zur Geshichte des Sinaiklosters nach Arabischen Quellen*, Abh. Fr. Ak. W. Gottingen phil. hist. Kl. – رقم ٤ . [ويسعدني أن أعلن أن كلية الآداب بجامعة جوتنجن أصدرت رسالة السيد هانز إرنست Hans Ernst وموضوعها هو : *Die Mamlukischen Sultansurkunden des Sinaiklostes herausgegeben, übersetzt und erlautert* – ترجمة الفرنسية ص ٢٤٣ حاشية ٢]

(2) لقد أشار عطية من قبل في الكتاب المذكور أعلاه ص XXI الى أن وثائق دير سانت كاترين تمتاز باستمرار يكاد يكون غير منقطع ، وهذا له مغزاه على وجه الخصوص فيما يتعلق بالملاحظات التي لها صلة بعلم دراسة الخطوط وعلم دراسة السجلات . ففيما يتصل بحكم السلطان قايتباي وحده (١٤٦٨ – ١٤٩٥) يوجد على الأقل ١٧ مرسوما سلطانيا . قارن أعلاه حاشية ١٦ .

(3) معلومات شفهية بتاريخ ٩ مايو ١٩٥٧ م .

قديمة . وإن كان من الممكن دائما أن توجد وثائق خارج القاهرة أو فى أماكن أخرى فى مصر ، سواء كان ذلك فى أرشيفات المصالح الحكومية ، أو فى حوزة الأفراد ، ولعله يكون من المجدى أن يبدأ المهتمون بالبحث عنها (١).

وقد بيّن الدكتور عبد اللطيف فى دراسة لم تنشر بعد عن سجلات المنشآت الخيرية للسلطان الغورى (٢) كيف أن سجلات ذلك العهد تضمّ معلومات هامة . وقد دار بحثه ، بحكم تخصصه فى تاريخ الفنّ ، حول الحقائق المتعلّقة بهذا الميدان ، وكان بحثه فى سجلات المنشآت الخيرية على جانب كبير من التوفيق ، إذ أن النتائج التى وصل إليها لم تقتصر على مجموعة وافية من تفاصيل التاريخ المعمارى ، وإنما ضمت إلى جانب ذلك معلومات فنية عن العناصر المعمارية الخاصة بهذه الفترة لم تكن معروفة للأخصائيين من قبل ؛ فدراسته تضمّ ، على سبيل المثال ، قائمة كاملة للمصطلحات المعمارية التى وضعها إلى جانب السجلات ، بالكلام والصور ، ثم هو الى جانب ذلك يستطرد إلى معلومات فى مقام السير والتراجم ، كأن يشير مثلا إلى بعض الموظفين المدنيين والدينيين والعسكريين الذين لهم أهمية بالنسبة للتاريخ الثقافى والإدارى .

---

(١) حسب ما يظهر من قرار حكومى سنذكره أدناه يمكن أن نقول مقدما ان الوثائق المتعلقة بأملاك أصحاب الوصايا الذين ليس لهم ورثة تعود الى دار محفوظات الدولة . ومن هذا يعلم أن الذين عنوا باصدار هذا القرار لابد أنهم كانوا يعلقون أهمية خاصة على الوثائق الموجودة فى أيدى الأفراد .

(٢) لا يزال النموذج المشهور للدراسات التى من هذا القبيل هو الدراسة التى قام بها L. A. Mayer تحت عنوان *The Buildings of Qaytbay as described in his endowment deed*, London : Probsthain 1938 وكذلك التى قام بها Axel Moberg تحت عنوان *Zwei Ägyptische Wakf-urkunden aus dem jahr 691/1291*, Monde Orientale فى (١٩١٨) صفحات ١ - ٩٤ . وفى جانب هذا تشير مجلة Arabica المجلد الثانى (١٩٥٥) ص ٢٨٤ الى الرسالة التى قدمها أحمد دراج فى ٢٨ يونيو ١٩٥٥ لجامعة السوربون لحصول على درجة دكتوراه فى الآداب وعنوانها : *L'acte de waqf de Barsbay (Hujjat waqf* : *Barsbay*) - [كانت هذه الحاشية قد سقطت فى الأصل ثم تداركها الكاتب فى الترجمة الفرنسية ص ٢٤٤ حاشية ٢ : المترجم] .

وإنّا لنرجو أن تظهر هذه الدراسة على وجه السرعة ، على الأقل فيما يخص الجزء الذى يضمّ السجلات (١) .

فإذا وصلنا إلى الفتح العثمانى لمصر وجدناه يمثل فاتحة عهد جديد فى مجال دراسة السجلات ، ففى المقام الأول ليس هناك مجال للمقارنة بين هذا العصر وغيره من العصور فيما يتعلّق بوفرة عدد السجلات التى تربو بكثير عمّا كانت عليه أى عصر سابق وتتصل فى الواقع بالعدد الأكبر النواحى المختلفة مثل الفرمانات السلطانية وقرارات الولاة والخديوين ودفاتر الحسابات وقوائم الضرائب ومضابط المحاكم بالاضافة إلى أوراق تنتمى إلى جميع فروع الإدارة (٢) . على أن أكبر فرق بين سجلات العصر العثمانى وبين تلك التى تنتمى إلى عصور سابقة هو أن اللغة التركية بدأت تستعمل فى الدواوين المصرية (٣) . أما مدى ما صاحب استعمال اللغة الجديدة من تغيير

(١) يرجع الفضل إلى الأستاذة الدكتور فريد شافعى والدكتور أدولف جرومان فى معرفتنا لهذا البحث وكاتبه الذى ألحقنا بفريقه الشيق على مشروعاته الأخرى فيما يتعلق بالوثائق .

(٢) هذه الوثائق محفوظة أساسا فى دار المحفوظات المصرية (قلعة القاهرة) وقصر الجمهورية (عباس عابدين سابقا) وأرشيف محكمة الأحوال الشخصية . كذلك يوجد بعضها فى دار الكتب ومكتبة الأزهر . هذا ، بطبيعة الحال ، إلى جانب ما يوجد منها فى حوزة بعض الأفراد .

(٣) يجب ألا نفهم من هذا أن المصطلحات الإدارية التركية أخذت تحل تدريجيا محل المصطلحات العربية ، فقد ظلت المصطلحات العربية تستخدم إما وحدها أو إلى جانب المصطلحات التركية فى أغراض كثيرة تحت السيادة التركية . وهنا نجد أن أول الفرمانات التى أصدرها السلاطين بالعربية والمحفوظة بدير سانت كاترين يرجع إلى ١٤٥٤ — ١٤٥٥ ، وتستمر هذه فى أعداد وفيرة حتى ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢) . وحتى بعد هذا التاريخ نجد أنها لا تتوقف بالمرة وإنما لا تفتأ تظهر فى مناسبات عديدة حتى بعد مطلع القرن التاسع عشر . وآخر هذه الفرمانات يرجع إلى ١٨٢٩/١٨٢٧ . — راجع عطية *Hand list* صفحات ٣٢ — ٣٥ . أما عن ملاحظة برنهارت موريتس (*Berriuge* ص ٤٠) التى مؤداها أن خطابات الأمان السلطانية لدير سانت كاترين « كانت تصدر بالعربية حتى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى ، ثم بدأت تصدر بالتركية منذ ذلك الوقت » فمن الممكن تفسيرها على أنه تعنى أن أول خطابات الأمان التركية ترجع إلى عهد السلطان سليمان الأول ، وإن كنا لا نستطيع أن نستخرج من هذا إذ أن عطية (ص ٨٠) لم يشر إلى الوثائق التركية بدير سانت كاترين —

فى الطريقة التى كانت تتبعها دواوين الإنشاء وإلى أى حد تم ذلك (وهو أمر من المرجح أنه حدث) فهذه مسألة تحتاج إلى دراسة .

ولاتزال الدراسة التى قام بها جان دنى Jean Deny تحت عنوان « موجز للمحفوظات التركية بالقاهرة » *Sommaire des Archives Turques du Caire* هو خير ما كتب عن الوثائق التركية (١) ، وهو لايزال محتفظا بقيمته وأصالته العلمية رغم انقضاء بضع وعشرين سنة على ظهوره . (٢) والكتاب فوق هذا يحوى معلومات أكثر بكثير مما يوحى به عنوانه ، إذ أن دنى لايقتصر على إعطاء تعريف عام بالمحفوظات التركية الموجودة بأرشيفات القاهرة ، ولكنه يعنى إلى جانب ذلك بالهيئات التى كانت تصدر أو تتسلم هذه الوثائق ، كذلك يمكننا أن ننتفع بكثير من الإشارات أو التوجيهات التى أبداها كعناصر أساسية فى دراسة علم الوثائق كما فى حالة القائمة التى قدمها لنا بالمصطلحات العربية والتركية فى هذا المجال .

ومن الطبيعى أن يكون المحور الذى تدور حوله أية دراسة لهذه السجلات هو الأعمال الرسمية التى تتعلق بإدارة مصر تحت الحكم العثمانى التركى ، وهى فى ذلك تكون مناظرة للدراسة المثالية التى قام لودفيج فيكته Ludwig Fekete عن الوثائق التركية فى المجر (٣) . والظروف فى الواقع

= إلا بملاحظة جائرة ، كما أن قائمة مراجعه كامل لا تشير إلى السنوات التى صدرت فيها هذه الوثائق. هذا وتوجد تفاصيل عن المصطلحات الإدارية التى كانت سائدة فى مصر تحت الحكم العثمانى فى الدراسة التى قام بها جان دنى والتى سأشير اليها فوراً .

(١) Imprimé par l'Imprimerie de l'Institut Français d'Archeologie Orientale du Caire pour la Société Royal de Geographie d'EgypteMCMXXX.

(٢) هناك دراسة أحدث تتصل بدور المحفوظات بالقاهرة قام بها محمد أحمد حسين هى " الوثائق التاريخية " (مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٤) . وهى تنزع بشكل ظاهر إلى الاتجاه التخطيطى . فبعد أن يعطى الباحث فكرة عامة عن دور المحفوظات بفرنسة وانجلترة وايولايات المتحدة واسبانية وإيطالية وألمانية ، يلقى نظرة عن الظروف السائدة بمصر ويقدم اقتراحات عن طريقة التنظيم فى المستقبل (ما نريده لنا) .

(٣) Ludwig Fekete : *Einführung in die Osmanische Diplomatik der Türkischen Datmassigkeit in Ungarn*, Budapest : Königliche Ungarische Universitats-druckerei 1926 (Veroffentlichungen des Koniglichen Ungarischen Staats—archive, redigiert von Dr. Desiderius Csánki).

مهيأة لمثل هذه الدراسة ؛ إذ أن فى حوزتنا مجموعة منشورة لصور طبق الأصل من الفرمانات التى أصدرها سلاطين القسطنطينية إلى ولاة مصر وخديويها فى الفترة الواقعة بين ١٥٩٧ و ١٩٠٤ [١] ، وقد بلغت الصور الموجودة فى هذا المجلد درجة من الجودة تجعلها ذات قيمة كذلك فى الدراسات المتصلة بعلم الخطوط . كما بلغ من دقة العمل فى هذه المجموعة أنه حتى أرقام القيد التى سجلت تحتها الوثائق التى تحويها جمعت كلها فى مجلد خاص [٢] ، وهو أمر لم يكن يحظى بالعناية فى أغلب الحالات المماثلة .

هذا وإن فى وفرة هذه الوثائق — وهى تزيد على الألف — وفى تسلسلها مايقيم دراسة السجلات الإسلامية لهذه الحقيقة على أساس راسخ ، كما أن الموجز

(١) Administration des Biens Privés et des Palais Royaux: *Recueil de Firmans Impériaux Ottomans adressés aux Valis et aux Khédives d'Egypte. 1009 H. - 1322 H. (1597 J. 1904 J. C.)*, reunis sur l'ordre de Sa Majesté Fouad Ier, Roi d'Egypte, Imprimé par l'Imprimerie de l'Institut Français d'Archeologie Orientale du Caire. MCMXXXIV. ، ومن الواضح أن هذه المجموعة لا تتضمن كل الفرمانات التى أرسلت من القسطنطينية إلى القاهرة أو كل الفرمانات التى ترجع إلى الفترة التى يشير إليها العنوان . أما عن طريقة تكوين هذه المجموعة أو عن مصير الوثائق التى تعتمد عليها فهذا أمر لا يمكن استنتاجه ، سواء من المجموعة نفسها أو من الملاحظة الملحقة بها [كما أن الكتاب الذى ألفه حليم فاخوم الفندى والذى سأذكره فى حاشية مقبلة لم يذكر شيئا عن ذلك — الترجمة الفرنسية ص ٢٤٩ حاشية ٢] ومن المحتمل أن المجموعة موجودة الآن فى مكتبة الجامعة الأزهرية ، إذ تذكر مجلة الأزهر (عدد ١٥ عام ١٩٤٤ أسفل ص ٤٣) أن إدارة الخاصة الملكية أهدت إلى هذه الجامعة على عهد الملك فؤاد مجموعة الفرمانات السلطانية التى ترجع إلى الفترة ما بين ١٠٠٦ و ١٣٢٣ . وراجع Jörg Kraemer فى Oriens عدد ٨ (١٩٥٥) ص ١٨٣ [وجدير بالملاحظة كذلك أن ٢٧ وثيقة ترجع إلى الفترة ما بين ١٨٤٠ و ١٨٨٥ ، نشرت فى شكلها الأصلى أو مترجمة إلى الفرنسية فى كتاب أصبح الحصول عليه صعبا الآن وهو : *Actes diplomatiques et firmans impériaux relatifs à l'Egypte*, Le Caire 1880 ويبدو أن الكتاب كان قد ألف لاستخدامه فى الأغراض العملية — الترجمة الفرنسية ، نفس الصفحة والحاشية المذكورتين أعلاه]

(٢) الدراسة الرئيسية تقع فى سبعة مجلدات يضاف إليها ملحق *Supplément* (غير مرقم) فى مجلد خاص يضم أرقام القيد التى توجد تحتها الوثائق المنشورة . هذا ولا تحمل ١٧ من هذه الفرمانات أية ملاحظات فى الملف ، بينما توجد ملاحظات فى حالة ثمانية منها ولكن لم يمكن تصويرها .

الذى نشره بالفرنسية حاخام ناحوم أفندى يؤدى إلى تيسير الانتفاع بهذه الوثائق [1] . كذلك من المؤكد أن المشتغل بدراسة السجلات فى هذه الفترة — وبخاصة إذا كان يقوم بهذه الدراسة فى مصر — فى مقدوره أن يعالج فرمانات أخرى لم تضمها المجموعة المذكورة [2] . وفى هذا المجال نجد أن القائمة التى قام بعملها مراد كامل لمجموعة وثائق سانت كاترين [3] تضم وحدها ٦٧٠ وثيقة تركية، من بينها ٣٥٢ فرمانا، و ١٣٤ صورة لفرمانات [4] . وهذا يجعل فى مقدورنا عقد مقارنة شيقة مع القرارات السلطانية المكتوبة بالعربية الموجودة ضمن مجموعة سانت كاترين والتى يبلغ عددها ما لا يقل عن ٧٥ وثيقة حسب تقدير عطية [5] .

---

[1] مما يدعو إلى الالتباس أن المجلد الذى به الموجزات يحمل نفس عنوان المجلد الذى به النصوص طبق الأصل ، وكل ما هناك من فرق هو أن صفحة عنوان ثانية توجد بها الإشارات التالية : *Avant-propos, sommaires, tableaux et notes* par Son Éminence Haim Nahoum Eff. Grand Rabbin du Caire, Sénateur du Royaume d'Égypte, Membre de l'Académie Royale de Langue Arabe. Préface de S.E. Mohamed Zaki el-Ibrachi Pacha, Administrateur Général des Biens privés et des Palais Royaux. هذا وإلى جانب الموجزات يضم الكتاب فى صفحات XXXI—XLVII ملخصا لمحتويات الفرمانات مبوبة حسب الموضوعات الآتية : (١) المدن المقدسة : تنظيم الحج ، المنح المالية ، تصليحات الأماكن المقدسة والمؤسسات الدينية : الوقف والعمارة وآبار الشرب، الخ ... (٢) الشئون المالية : الدخل النقدى والعينى ، الجمارك ، الضرائب ؛ (٣) الأشغال العامة : امتيازات الترع والسكك الحديدية وخطوط الملاحة ، الخ ... (٤) الجيش والأسطول : التنظيم العسكرى ، الحملات المصرية ، المساعدات أثناء الحرب التركية ، القضاء على قوة الانكشارية ، انشاء قوة عسكرية جديدة ؛ (٥) الشئون الخارجية : الديون الخارجية ، التجارة الخارجية ، القناصل ؛ (٦) الديون ؛ (٧) شئون المحاكم والجاليات غير الإسلامية .

[2] ما دام السؤال الذى أثرناه فى حاشية ٢٨ أعلاه حول إصدار ومكان حفظ الفرمانات التى جمعت فى مجموعة *Recueil* لا يزال يفتقد الجواب الذى لا يجوزه الشك ، فسيظل من الصعب أن نصل إلى قرار مؤكد عما لم ينشر بعد من المراسيم السلطانية التى ذكرت فى أماكن مختلفة ، كما فى *Sommaire* للباحث هل ، إلا إذا تمكنا من معاينة هذه الوثائق نفسها .

[3] فهرست ، المجلد الأول ، صفحات ١٩٩ — ٢٣٣

[4] بناء على تحقيقنا الشخصى يوجد فى سجلات قسم الرزنامة المحفوظة فى دار المحفوظات المصرية ، عدد آخر كبير من الفرمانات .

[5] وهى أرقام ١٢٠ — ١٨٤ — ٩٦٥ — ٩٧٤ .

هذا والمجموعة التي تكلمنا عنها من الصور طبق الأصل تكوّن الجانب الأساسي من مشروع كبير ابتدأه الملك فؤاد المتوفى عام ١٩٣٦ . إذ كان قد اعتزم أن يعمل على جمع كل الوثائق المتصلة بتاريخ أسرته وتصنيفها ونشرها . وقد نفذ في الواقع جانبا كبيراً من هذا المشروع ، وفي هذا المجال قام عدد كبير من العلماء الذين عنوا بهذه المسألة بالتنقيب عن المراسلات الدبلوماسية في دور المحفوظات بفرنسه وبريطانيه وايطاليه والولايات المتحدة وروسيه وبلاد اليونان وبولنده ، وكان موضع تنقيبهم بوجه خاص هو التقارير التي أرسلها قناصل هذه الدول ممن كانو يعملون بمصر ، وقد ظهرت ثمرة هذا البحث في شكل مجموعة عظيمة من المطبوعات[1] ليس هنا مقام التفصيل فيها ، ومن الممكن على كل حال أن نجتزىء في الحديث عنها بهذه الإشارة حيث أنها تتعلق بطبعات ظهرت باللغات الأوربية ، على أن إحدى نقاط هذا المشروع قيمة بألا تفوتنا الإشارة إليها ، ألا وهي المجموعة الكبيرة التي عنى بنشرها العالم البيروتي أسد ج . رستم[2] وهي تتعلق بعدد من الوثائق المكتوبة

---

(١) ظهرت هذه المطبوعات على أنها " مطبوعات خاصة " publications spéciales لجمعية الملكية الجغرافية المصرية ، وقد أدرجت تحت هذا العنوان العام في فهرس مطبوعات هذه الجمعية .

(٢) *A Calendar of State Papers from the Royal Archives of Egypt relating to the Affairs of Syria* (العنوان العربي : المحفوظات الملكية المصرية ؛ بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها) . Vol. I (1225—1247 A. H., 1810—1832 A.D.) Beirut : American Press 1940; Vol. II (1248—1250 A.H., 1832—1835 A.D.) ib. 1941; Vol. III (1251—1254 A.H., 1835—1839 A.D.) ib. 1942; Vol. IV (1255— 1256 A.H., 1839—1841 A.D.) Ib. 1943

وهذه المجلدات تحتوي على موجزات عربية . وقد نشر صبحي نايف صقره ملحقات طا تضم أسماء الأشخاص والأماكن : فهرس وثائق الشام في عهد محمد علي الكبير ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢ . كذلك نشر أسد رستم دراستين أخريين قد لا نستطيع أن نعتبرهما مطبوعات تتصل بالوثائق في حدود المفهوم الدقيق لهذه الكلمة ، ولكن طابع ذلك اتصال وثيق بميدان المحفوظات ، وهما : *The Royal Archives of Egypt and the Origins of the Egyptian Expedition to Syria*, Beirut : American Press 1936; (٣) *The Royal Archives of Egypt and the Disturbances in Palestine 1834*, Beirut: American Press -

بالعربية جمعت من دور المحفوظات المصرية وتتصل بتاريخ محمد علي . وهي مجموعة تعالج ناحية على قدر كبير من الأهمية ، هذا وحيث أن المسألة تتعلق بفترة حافلة من فترات التاريخ الأوربي ، فانه يكون من الخير لو أن هذه الوثائق ترجمت إلى إحدى اللغات الاوربية بحيث يصبح الوصول إليها ميسورا بالنسبة للمؤرخين الغربيين .

والآن ، وقد قاربنا نهاية تقييمنا لموضوع الوثائق المصرية أرى أننا لم نفكر بشكل جدي في أن نقدم قائمة كاملة للمراجع ، وفي الواقع لم يكن من العسير في هذا الصدد أن نذيل هذا البحث بمجموعة أو أخرى من مجموعات الوثائق التي تم نشرها[1] ، ولكن هدفنا الحقيقي كان ينحصر في القاء نظرة عامة على مشكلة السجلات في جميع مراحل التاريخ المصري في العصر الإسلامي ، الأمر الذي لم يتم في أي مكان حتى هذه اللحظة . هذا وأرى في الختام أن ألمع إلى بعض المشروعات التي لم تحظ بالعناية اللازمة قبل الآن والتي أرى أن تكون موضع اهتمام عاجل .

= 1938. وقد ظهر هذان الكتابان الأخيران بالصفة التالية : "The American University of Beirut, Publications of the Faculty of Arts and Sciences, Oriental Series" أرقام ٨ و ١١ على التوالي . وعلى غلاف الحفظ الخارجي لهذين الكتابين إشارة الى كتابين آخرين هما : Asad J. Rustum : *Corpus of the Arabic Documents to the History of Syria under Mehemet Ali Pacha*, Vol. I, II, V, 1929—1933 "Oriental Series 1-3 و Vols. III—IV (بدون تاريخ) *Corpus of Arabic Documents*, من سلسلة "Oriental Series 5" كذلك نجد في الكتاب الذي يتناول فيه الكاتب فلسطين اعلانا هو : By the Same Author : *A corpus of Arabic Documents Relating to the History of Syria under Mehemet Ali Pacha*, Vols. VI—IX. "in preparation" على أنه تحت الطبع هذا ولا نستطيع أن نحدد بشكل قاطع ما ظهر من هذه المجلدات التسع .

(١) [من بين الدراسات الساعدة لعلم السجلات يجب كذلك أن نذكر مثلا الدراسة القيمة التي قام بها ابراهيم الموبلحي وهي : *Le Qirmeh en Egypte* Bulletin de l'Institut d'Egypte XXIX ١٩٤٦—١٩٤٧—١٩٤٨ صفحات ٥١ — ٦٨ — الترجمة الفرنسية ص ٢٤٨ حاشية ٢] .

والرغبة التي نبديها هنا في المكان الأول لا تدخل — على الأقل في كليتها — في نطاق المجهودات العلمية ، أو قل ان تحقيقها على أي الأحوال ، لايتوقف في المقام الأول على مجرد الاستعداد الطيب من جانب رجال العلم . وهي تخص اقامة دار محفوظات مصرية وطنية منظمة تدار على أساس علمي [1] والأساس الذي تقوم عليه هذه الفكرة أن وثائق التاريخ المصري الاسلامي المتناثرة في أماكن متفرقة تمثل ثروة قومية ثمينة بالعناية بالشكل الذي يتناسب وأهميتها ، وهو أمر يجب أن يلقى كل تقدير في بلد بذلت الكثير فيما يخص تاريخها القديم . وأمامنا في هذا المجال أساس لا بأس به لمثل هذا المشروع ، وهو يتمثل في قرار وزاري صدر في الواقع في ١٩٥٤ بتكوين لجنة ينحصر عملها في أن تجمع كل الوثائق التي لها قيمة تاريخية في دار محفوظات مركزية تسمى « دار الوثائق التاريخية [2] » . كذلك تقرر أن تعمل فهارس لكل دور المحفوظات الخاصة في مصر بما فيها تلك

---

(١) من النافع في هذا المقام أن نرجع الى الحقائق الأساسية التي عرضها محمد أحمد حسين في دراسته التي سبق ذكرها وهي : الوثائق التاريخية .

(٢) قارن Stanford J. Shaw : *Cairo's Archives and the History of Ottoman Egypt* في *Report on Current Research*, Spring 1956, washington : The Middle East Institute 1956 وبصفة خاصة ص ٦٠

[هذا وكان أدولف جرومان Adolf Grohmann قد أبدى منذ وقت قصير رأياً منه بخص الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر الاسلامية في RSO XXXII ، ١٩٥٧ ص ٦٤٢ جاء فيه : وبناء على ذلك فقد اعتقدت أن واجبي العلمي يقضي على أن أوجه نظر السلطات المسئولة إلى الحالة الموجودة وذلك بأن أقدم لها مذكرة مفصلة وألا أجتزئ فيها بأن أطلب إليها إقامة دور حديثة للمحفوظات بالقاهرة تغطي كل الاحتياجات في هذا الميدان وإنما أقترح عليها إلى جانب ذلك نشر مجموعة كبيرة للوثائق هي : "Monumenta diplomatica Arabica historiae medii aevi Aegypti" التي عنيت بنشرها جمعية الدراسات التاريخية بالقاهرة ، ونحن نأمل أن تتم سريعاً التسهيلات اللازمة لتحقيق هذا المشروع . هذا وقد اتخذت خطوات واسعة في سبيل الاعداد العلمي للمشروع ، فقد لقيت الفكرة قبولا وحماساً من المؤرخين مصطفى زيادة وعزيز سوريال عطية وحسين مؤنس ، بينما وعد بالتعاون الايجابي كل من الأستاذ جمال الدين الشيال وتلميذي القديم الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على : أضاف الكاتب رأي جرومان هذا مترجما إلى الفرنسية في الترجمة الفرنسية لمقاله ص٢٤٩ حاشيه ٢ — المترجم]

التابعة للمنشآت الدينية الأجنبية [1] ، وأن يمنع البيع أو التصريف للخارج في حالة مجموعات الوثائق الخاصة التي على جانب من الأهمية . كما تقرر أن تنتقل ملكية مجموعات الوثائق الخاصة في حالة وفاة صاحبها إلى دار الوثائق التاريخية ، وأضيف هنا في حدود ماوصلنا إليه من المعلومات المؤكدة ، أن هذا القرار لم ينفذ بعد ، على الأقل في أهم أقسامه .

وإلى أن يتحقق ذلك فإنه يكون من الكسب العلمي أن يتم تسجيل الوثائق العربية الخاصة بمصر في صورة منظمة أقترح أن تكون على النمط الذي اتبعه جان دني في عرضه للوثائق التركية ، وقد يكون في السجل الذي يقوم عليه الدكتور عبد اللطيف ، والذي تكلمنا عنه آنفا مايصلح كنقطة ابتداء لمثل هذه القائمة المقترحة .

هذا وتوجد طريقة أخرى مجدية للحصول على الوثائق المصرية ، وهي ما أوصى به دني [2] من قبل من البحث في دور المحفوظات الموجودة في الخارج [3] ، وقد قام برنارد لويس Bernard Lewis بالبحث في تركيه

(1) نشرت قائمة تضم ٦٩ رقما من أرقام الوثائق الموجودة بين محفوظات مركز الفرنسيسكان للدراسات الشرقية بالقاهرة تحت عنوان : *Catalogus Documentorum Muski* : مارتقيانو رونشاليا *Studia Orientalia (Miscellanea edited by* في Martignano Roncaglia *the Centre of Oriental Studies of the Franciscan Custody of the Holy Lands)* الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦ Ex Typis PP. Franciscalnm, Jerusalem صفحات ١٦٥ — ١٧٥ . راجع كذلك : *Arabische Dokumenten in het Archief* : E. Boera . صفحات ١٧٧ — ١٧٨ . *van het Studiecentrum in Muski, Air*

(2) *Archives Turques* صفحات ٢٢٢ وما بعدها ، وبها إشارات الى عدة مئات من السجلات المصرية التي جمعها أسد ج . وسلم المذكور أعلاه والتي توجد الآن في حوزة الجامعة الأمريكية ببيروت ، وان ٢٥ فرمانا في المكتبه الوطنية بباريس (suppl. turc n° 74) .

(3) قدم فهيم بزيه اكتارفيتش Fehim Bajraktarevic دراسة في مؤتمر المستشرقين الأخير الذي عقد بهامبورج في ١٩٥٥ عنوانها *die Arabischen Urkunden des Staatsarchivs von Dubrovnik* [خصوص الملخص] ZDMG 105 ص "٤٩" [راجع الكامل في "Der Islam" الجزء ٣٣ (١٩٥٧/١٩٥٨) صفحات ١٢٥ — ١٤١] وعدد هذه الوثائق يصل الى ٢٣ منها واحدة تتعلق بمصر (أما الوثائق الباقية فتتصل ببلاد المغرب) . وهذه الوثيقة لا تزيد عن أن تكون =

منذ وقت قريب عن الوثائق المتعلقة بتاريخ البلاد العربية ، وكان فى تقريره الغزير المادة مايهم مصر فى هذا الصدد[1] . ولكن مع ذلك فإن دور المحفوظات الأوربية بها كذلك وثائق بنفس الوفرة ، بغض النظر عن المراسلات الدبلوماسية المتبادلة الخاصة بالعصر الحديث مما أسلفت الإشارة إليه . وفى العام الماضى أخرج المؤرخ المصرى توفيق اسكندر أولى مقالاته عن دراساته فى دار

= ملخصا أو صورة لتقرير يتصل بتحرير الخانية الراجوسية من تحت السلطة القضائية التى كانت تتصل كذلك [فى الاسكندرية] وكان هذا الفصل قد أسند معظمه الراجوسيين . والخطوط ليس له تاريخ ولكن المرجح أنها ترجع الى حوالى عام ١٥٢٠ . [وإلى جانب ذلك لدينا مصدر لسجلات تفوق هذه *Catalogo dei Firmani ed altri documenti legali emanati* *in lingua araba e turca concernenti i santuari, le proprietà, i diritti della Custodia di Terra Santa conservati nell'Archivio della stessa custodia in Gerusalemme*, Gerusalemme 1933, ، وهى تحفظ Eutemio Castellani التى قام بها يوتيميو كاستلانى عددا من أرقام الوثائق المحفوظة فى دور محفوظات الفرنسيسكان بالقدس لا يقل عن ٢٩٤٤. وقد قام نوربرتو ريشار Norberto Richard مجموعة عددها ٢٦ صورة طبق الأصل من هذه الوثائق معها نسخ مكتوبة بحروف مطبعية ومترجمة ومزودة بالحواشى وذلك فى كتابه *Documenti e firmani* طبعة خاصة قام بها الفرنسيسكان فى ١٩٣٦ . كذلك هناك جيرولامو جولوبوفيتش Girolamo Golubovich التى عدد فى كتابة *Serie Cronologica dei reverendissimi superiori di Terra Santa* (القدس ١٨٩٨) صفحات ١٨٥ — ١٨٧ ، ٢٣ فرمانا ملوكيا موجودة بديره ، ويحتوى كتابة فى صفحات ١٧٢٧ ، ١٨٤ على نصوص وترجمة نحو ١٢ من هذه الفرمانات . كذلك نجد سلسلة أخرى من الوثائق العربية الخاصة بمصر المملوكية فى : *Los documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon, editados y traducidos*, Madrid-Granada 1940 (Publicaciones de las Escuelas de Estudios arabes de Madrid y Granada Serie G,num. 1) وقد وضع الكتاب ماكس ا. ألاركون إى سانتون Max. A. Alarcon y Santon ، ورامون جراسيا دى لينارييس Ramon Gracia de Linares وفى مقالة كتبها فرجيليو كوربو Virgilio Corbo تحت عنوان : *La peregrinazione a Gerusalemme di Bernardino di Nali* *Custodia di Terra Santa* 1342—1942, Gerusalemme : *Tipografia dei Padri Francescani* 1951 ص ٢١٨ — الترجمة الفرنسية ص ٢٥٠ حاشية ٢]

(١) *The Ottoman Archives as a source for the History of the Arab Lands* فى JRAS صفحات ١٣٩—١٥٥ . ومن الممكن أن جان دى فم قام بالخطوة الأولى فى هذا المجال فى كتابه *Histoire et historiens depuis cinquante ans* (Bibliothèque de la revue historique turque) المجلد الأول Turquie historique. Paris : Alcan 1927 صفحات ٤٣٨ — ٤٥٤ .

المحفوظات بالبندقية [1] . وقد أكد لنا أنها تضم وثائق عن التاريخ المصرى أكثر مما يوجد فى أىّ مكان آخر بما فى ذلك مصر نفسها ، وطبيعى أنها مكتوبة باللاتينية أو الإيطالية أو بلغة مدينة البندقية ، أو مترجمة إلى إحدى هذه اللغات الثلاثة إذا كانت قد كتبت أصلا باللغة العربية ، ولكن هناك أصول مكتوبة بالعربية لاتزال موجودة حتّى الآن فى دور المحفوظات الموجودة بأماكن أخرى مثل فلورنسة وبيزه ، أما الوثائق التى كانت وجهتها مدينة البندقية فقد ظلّت ، حسب ماكان متبعا فى ذلك الوقت ، محتفظا بها فى قنصليات السينورية المصرية التى كانت لا ترسل سوى ترجمات لها .

هذا وإلى جانب البحث عن الوثائق الأصلية يجب أن نكثر من فحص الكتب الأدبية وبخاصة تلك التى تتعلق بدواوين الإنشاء والحوليات حتّى نستطيع الحصول على نسخ الوثائق فى الفترات التى ليس لدينا فيها وثائق أصلية ، أو التى ليس بها إلاّ القليل منها ، وذلك على نمط ما قام به الأستاذ

(١) ظهرت الدراسة فى جزءين : *Documents inédits relatifs a l'histoire d'Egypt conservés aux archives de Venise. Première Série . Les traités I. La Mission de Piero Diedo et la Cession de Chypre* 1490, publié par Tewfik Ishkander القاهرة ، el-Muetz ١٩٥٦ (٢) تاريخ مصر فى محفوظات البندقية ، وثائق غير منشورة ، السلسلة الأولى : المعاهدات (١) ، سفارة بيترو دييدو ومعاهدة تنازل مصر عن قبرص ١٤٩٠ . نشرها توفيق اسكندر ، القاهرة ، المصرى ١٩٥٩ – وهذه الدراسة تضم ثلاث وثائق (ا) تعليمات إلى مبعوث الدوج إلى سلطان مصر (ب) رسالة من هذا المبعوث إلى الدوج ، كتبها عقب وصوله إلى الاسكندرية (ج) ترجمة بلغة البندقية للمعاهدة المتعلقة بقبرص . والجزء الأول من هذه الدراسة يحتوى على نص الوثيقة (١) مكتوبة بحروف مطبعية أمام النصان (ب) و (ج) فلكل منهما صورة طبق الأصل إلى جانب النسخة المكتوبة بالحروف المطبعية . أما الجزء الثانى فيشتمل على تصدير ومقدمة إلى جانب الترجمة العربية للوثائق الثلاثة . هذا ويوضح الناشر فى المقدمة التى كتبها للنسخة العربية أنه ينتوى أن ينشر من هذه الدراسة نموذج يحتذيه فى دراسات أخرى له لا تزال فى دور التحضير وتقع حسب تقديره فى أربع مراحل هى : (١) المعاهدات السياسية والمعاهدات الاقتصادية من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ؛ (٢) التعليمات التى صدرت إلى سفراء ومبعوثى البندقية من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر (٣) تقارير المبعوثين عن مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر (٤) وثائق عن التاريخ الاقتصادى .

الشيال فيما يخصّ الوثائق الفاطمية . وإنّ فى المجموعات الشاملة التى بدأها القاضى الفاضل والتى استمرت حتّى القلقشندى مايتيح لنا فى هذا الصدد مجالا له من الاتّساع مثل ما هو عليه من غزارة المادة [1] .

---

(1) [نذكر فى هذا المجال الطبعة الثانية لكتاب ألّف بهذه الطريقة ، ولو أنه لايتصل بتاريخ مصر إلا فى قسم بسيط ، والكتاب هو : *Documents sur la diplomatie musulmane à l'époque du prophète et des Khalifes orthodoxes. Textes arabes* مجموعة الوثائق السياسية لعهد النبوى والخلافة الراشدة الطبعة الثانية مع تصحيحات وزيادات ، القاهرة ، لجنة التأليف الخ. ١٩٥٨ - ١٣٧٧ . ومؤلف الكتاب هو محمد حامد الله - كذلك تنبغى على الأقل فى الحاشية ، أن تشير الى النصوص كمصدر من مصادر الوثائق ، والفراسان الثانيان تعطيان فكرة واضحة عما يمكن أن تنتظره فى هذا الصدد : Jean Sauvaget : *Décrets Mamelouks de Syrie* (١٩٣٢) DEO II فى صفحات ١ إلى ٥٢ ؛ III (١٩٣١) ؛ صفحات ١ - ٢٩ ؛ XII (١٩٤٨/١٩٤٧) ، صفحات ٥ إلى ٦٠ . و Gaston. Wiet : *Répertoire des décrets mamlouks de Syrie. Mélanges Syriens offerts à Monsieur René Dussaud*, vol. II. Paris ١٩٣٩ ، صفحات ٥٢١ إلى ٥٣٧] .